رؤية الإدارة الاستعمارية الفرنسية لمسألة حج الجزائريين وموقف الجزائريين منها

محمّد الأمين رحماني
دكتورالي/ جامعة الجيلالي ليابس/ سيدي بلعباس

الملخّص:

يهدف هذا المقال إلى إلقاء الضّوء على سياسة الإدارة الاستعمارية الفرنسية بالجزائر لمسألة الحج بوصفه أحد أركان الإسلام، إذ أنها استهدفت الدّين الرسمي للشعب الجزائري منذ بداية احتلالها له، لكنها في ظل كل هذا كانت تضع مصالحها في سلم أولوياتها، حيث حاولت استغلال كل النقاط لصالحها بما في هذا مسألة الحج، والذي وضعته في الميزان مابين كفتين ونظرت في انعكاساته على وجودها مابين آثاره السلبية والإيجابية، والإشكالية هنا: هل كان للحج انعكاسات إيجابية على الإدارة الاستعمارية؟ وما هي الآثار التي ترتبت على الشعب الجزائري المحتل آنذاك؟ وما موقفه من ذلك كله؟

Abstract:

This article aims to talk about the policy of the French colonial administration in Algeria regarding the issue of pilgrimage to Mecca, which is a cornerstone of Islam. The colonial administration fought all that is related to the Islamic religion, the official religion of the Algerian people, As for the subject of Hajj, I sometimes looked at him negatively and stood against him, and sometimes looked at him positively for her own sake, and we will explain all this in this article.

الكلمات المفتاحية: الإدارة الاستعمارية الفرنسية، الحج، الرأي العام الإسلامي، الحجاز، الهجرة، المهمات الخاصّة.

المقدمة:

اتَّخَذَت الإدارة الاستعمارية منذ البداية موقفاً مُضادًّا للدين الإسلامي بالجزائر، وهذا منذ خرقها لبنود معاهدة الاستسلام والتي نصّ بعض منها على احترام معتقدات الجزائريين ودور عبادتهم، وإن حاولت أن تُسَوِق صورة مغايرة لهذا الوضع باستمرار، ومن بين الشؤون الدينية التي كان للإدارة معها مواقف وسياسات متعددة طوال عُمُر الاحتلال نذكر "فريضة الحج" والتي كانت تُمَثِّلُ جانباً روحياً ومعنوياً هامًّا في الشخصية الإسلامية عموما بما في ذلك الجزائرية منها، فيكفي أنها فرض على كل مسلم مستطيع مرة واحدة في عُمره، وقد تبلور موقفها _الإدارة الاستعمارية الفرنسية_ من الحج حسب تغيرات المصالح الفرنسية، وهو الأمر الذي جعلها لا تلبث على موقف واضح تعالج وتعامل به الحج، فنجدها تارة تحاربه وتضيق عليه بل وتمنعه حارمة الجزائريين من حقهم في ممارسة شعائرهم الدينية وتنظر له بطريقة سلبية، وتارة أخرى تحاول استثماره واستغلاله لصالحها وتنظر له من زوايا إيجابية من حيث انعكاساته عليها، فما هي رؤية الإدارة لمسألة الحج؟ وهل تغيرت عبر مختلف سنوات الاحتلال؟ وما أثر هذا على الشعب الجزائري؟

اولا: الإدارة الاستعمارية والنظرة السلبية لمسألة الحج:

كانت مسالة أداء الجزائريين لفريضة الحج في منظور الإدارة الاستعمارية الفرنسية عاملاً سلبياً، وهذا التقييم يرجع إلى جملة أمور، ويمكن ذكرها كالآتي:

1- المقاومة و مشاعر التعصّب:

حسب وجهة النظر الاستعمارية، فإنَّ الجزائري وبعد عودته من الحج يصبح شخصاً "متعصباً وعنيداً"، وقد كانت الفكرة السائدة عندهم آنذاك، أنه وبما أنَّ الحج يبعث على تجدد الإيمان في نفوس الحجاج، فإنه تلقائياً -حسب وجهة نظرهم دائماً- تتولد لديهم مشاعر الكره للآخر الذي يُخَالِفُكَ في الدِّين، وهي الفكرة التي علق عليها أجيرون بقوله "... هذه فكرة مسبقة جاهزة، لم يُكلِّف أحدٌ نفسه عناء التحقق منها"[1] ، وبشكل صريح نجد أنَّ الأميرال ديقيدون يُعلِن بأنه لن يُرخِّص بالحج للجزائريين خلال الفترة مابين (1873/1871)، لأنهم يرجعون من الحج "أكثر كراهية للفرنسيين" على حدّ قوله [2] ، وكانت الملاحظة الجاهزة لدى الإدارة الاستعمارية تفيد بأنَّ الجزائريين بعد رجوعهم من الحج يُشكِّلُون خطراً على التواجد الفرنسي بالجزائر[3] ، ذلك بأنهم يزدادون شراسة وإصراراً في مقاومة المُحتَّل، ولطالما كانت الإدارة تضع في حسبانها الرأي العام بباريس عمومًا، و ردود فعل المعمّرين بالجزائر على وجه خاص، لاسيما وأن هؤلاء المعمرين كانوا رافضين باستمرار لمسألة الترخيص بالحج للجزائريين، بحيث كانوا يُظهِرُون نوعاً من التخوف من ذلك[4] ، وقد شكلوا عاملاً من عوامل الضغط في حسم قرارات الإدارة بالمنع والترخيص من عدم ذلك[5] ولعل احتجاج الكاردينال لافيجري عندما رخَّصت الإدارة بالحج سنة 1876 لسكان جرجرة، دليلٌ على المواقف الرافضة لحرية الجزائريين في ممارسة شعائرهم الدينية، على الرغم من تمتع المسيحيين واليهود المقيمين آنذاك بالجزائر من تلك الحرية الدينية[6].

2- فك العزلة عن الجزائريين والتضامن معهم:

كانَّ الحج يُمثل بالنسبة للإدارة، أداةً لفك العُزلَة والحصار الذي لطالما حاولت فرضه على الجزائريين، إذ منعتهم من الهجرة و السفر في أحيان كثيرة، كما لا ننسى أنها سعت لفصل الجزائر عن محيطها العربي الإسلامي، وبهذا كانَّ الحج في منظور الإدارة وسيلة لكسر هذا الحصار و فك العزلة التي سعت دائما لفرضها [7]. من جانب آخر، كان موسم الحج على اعتباره حدثاً دينياً ضخماً، يُتِيح للحجاج الجزائريين وغيرهم من الحجاج الوافدين من مختلف بلدان العالم الإسلامي، الالتقاء فيما بينهم مما يسمح بتبادل الأخبار و الوضعيات حول أساليب الاستعمار عموماً والفرنسي على وجه الخصوص، ناهيك عن التعرف على التجارب الرائدة آنذاك في التعامل مع الأساليب الاستعمارية الخطيرة، وبهذا يكون الحج مناسبةً لوقوف المسلمين على ظروف وأوضاع بعضهم البعض، وهو الأمر الذي كان يثير هواجس ومخاوف الإدارة الإستعمارية [8] ، والتي كان يزداد حجمها _حسب الإدارة_ من جَرَاء تأثير الجزائريين المهاجرين و المقيمين بالحجاز، وكذا التأثيرات الخارجية الأخرى على غرار الطُرُق الصوفية والجمعيات وغيرها، وفي هذا الصَدَد يمكن ذِكر المنشور الصادر عن الحاكم العام جيرفي، بتاريخ 31 أوت 1880، والذي قَضَى بـ "تقليص عدد الحجيج إلى مكة قدر الإمكان، وبكيفية تُمَكِّن من اجتناب انخراط الحجيج في الطُرُق الدينية التي تجهر بعداوتها لهيمنتنا، وبكيفية تُمَكِّن من إجهاض أيَّة فُرصَة تسمح بنسج علاقات مع المُحرِّضِين اللاجئين إلى البلدان الإسلامية" [9].

أوردت صحيفة المبشر في عددها الصادر بتاريخ 15 فيفري 1858، خبراً عن حادثة تَصُبُّ حول فكرة تأثر الحجاج بالعوامل الخارجية المختلفة، ومفادُهَا أنه وخلال هذه السنة قام أهل الحجاز بتعيير الجزائريين من الحجاج على طاعتهم للدولة الفرنسية، وهو الأمر الذي جعل الإمبراطور الفرنسي وقتها يهتَّم بالقضية، ويصدر بياناً في هذا الصدد حسب ما أوردته المبشر، ويذهب عديد الباحثين ومن بينهم لونيسي إبراهيم، إلى أنَّ وصف هذه الحادثة يعبر عن تناقض مع المادة التي كانت تطرحها الجريدة في تلك الفترة، وذهب إلى أنَّ المبشر اختلقت هذه الحادثة حتى تُصَوِّر الإدارة الفرنسية بصورة الإدارة القوية التي تحمي كل رعاياها حيثما وُجِدُوا [10].

ومن أنواع التضامن الذي كانت الإدارة تتزعج منه خلال أداء الجزائريين وباقي شعوب المستعمرات التي كانت واقعة تحت سيطرتها لفريضة الحج، هو اللقاء السنوي الذي كان يُنظَّم من طرف أمراء مكة المكرمة بأعيان و وُفُود الحجيج، والذي أصبح يُقَام لاحقاً من طرف الملك بعد تأسيس المملكة العربية السعودية، فقد كانت وفود الحجيج تلتقي بقادة المملكة، والذين كانوا يُعَبِّرُون عن تضامنهم مع الشعوب الإسلامية المستَعمَرَة بما في ذلك الجزائريين [11]، ويذكر المؤرخون اللقاءات التي كانَّ يُنَظِمُهَا الملك سعود في قصره بجدَّة، مع وفود الحجيج [12]، وكذا الملك عبد العزيز والذي أقام سنة 1929 مأدبة عشاء من 500 مائدة على شرف الأعيان الحاضرين بمكة المكرمة [13]، كما وألقى خطبةً أمام وفود الحجيج في موسم حج سنة 1936 دعَا فيه المسلمين إلى التعاون والتآزر والتضامن فيما بينهم، وقام باستقبال كل وفد حجيج على حدى [14].

3- سُمعَة فرنسا:

تحت شعار "سُمعَة فرنسا"، كانت الإدارة تعتبر الحج عاملاً مُضِرًا بهذه السُمعَة، ففي نظرهم الحجاج الجزائريون سينقلون لباقي المسلمين والعرب القادمين من مختلف البلدان والأماكن إلى البقاع المقدسة، الأفعال والجرائم و الفظائع التي كانت ترتكبها فرنسا بحق الجزائريين، وهو الأمر الذي اعتبرته الإدارة أن له انعكاس سلبي على فرنسا وسُمعتها، وحول هذا يُعلق الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، بأنَّ الإدارة الاستعمارية قد أخطأت التقدير، ذلك أنَّ : "مسلمي الشرق لا يحتاجون إلى من يُنَدِّد بسياسة فرنسا وظلمها، ولا يحتاجون إلى من يكشف لهم عن مساوئ الاستعمار الفرنسي، فهم يعلمون من ذلك كلِّه فوق ما نعلم، لأنه من ذاقه منهم ذاق السُمَ الزُعَاف، ومن سمع عنه سمع ما يَصُمُ الآذان ويُسِيلُ العَبَرَات" [15].

4- عدم عودة الحجاج الجزائريين:

كانت نُقطَة عدم عودة الكثير من الحُجَاج إلى الجزائر بعد إتمام أداء مناسك الحج، وتفضيلهم الاستقرار بالبقاع المقدسة أو مختلف أرجاء العالم الإسلامي على البقاء تحت سيطرة السلطة الفرنسية المُستَعمِرَة، تؤرق الإدارة الاستعمارية حيث اعتبرتها إضراراً بسُمعتها عبر العالم، ذلك أنّ بعض الجزائريين كانوا يذهبون للحج برخصة رسمية من الإدارة، لكنهم لا يَعُودُون إلى الجزائر، وقد حدث هذا على نطاق فردي وجماعي، وإن كانت الإدارة لم تهتَّم بهذا الموضوع في بداية الأمر بل وشجعته أحياناً من أجل الاستيلاء على أراضيهم وبِطُرُقٍ قانونية بعيداً عن أي ضَجَّة، إلاَّ أنَّ القناصل الفرنسيين في البلدان التي كان يستقِّر بها الجزائريون، تداركوا الوضع سريعا وأرسلوا تقارير يطلبون فيها من حكومتهم التدخل لمنع هذه "الهجرة الفوضوية" كما أسموها، لأنها تسيء إلى سمعة فرنسا لدى الدُول، لاسيما الدولة العثمانية وإنجلترا[16].

تعد بلدان الحجاز، بلاد الشام ومصر، من بين البلدان التي فضَّل الجزائريون الاستقرار بها عَقِبَ أدائهم لفريضة الحج، وفي هذا الصدد يُشِير أبو القاسم سعد الله إلى أنه ومع بداية القرن العشرين كان الجزائريون المقيمون بالحجاز مثلاً يُقدَّرون بـ 1000 جزائري، معتبراً أن هذا العدد تقريبي فقط لصعوبة ضبط الإحصاءات، وقد أورد هذا الرقم بمناسبة هجرة حوالي 100 عائلة من منطقة سيدي عقبة بنواحي بسكرة[17]، و من بين هذه العائلات نذكر عائلة الشيخ الطيب العقبي أحد رجالات الإصلاح في الجزائر خلال الربع الثاني من القرن العشرين، والذي غادر الجزائر وعائلته لأداء فريضة الحج، إذ يتحدث عن هذا – نقلاً عن أحمد مربوش- فيقول: " انتقلت عائلتنا قاصدة مكة لحج الكعبة المُشَرَفة"، و يذكر مربوش أنَّ نية العائلة كانت الهجرة والاستقرار بالحجاز، وهو ما تجسد بعد أداء العائلة لفريضة الحج حيث بقيت مُقيمة بالحجاز [18]. كذلك نجد أنَّ الإدارة أغلقت أبواب الحج بعد الهجرة الجماعية التي شهدتها منطقة تلمسان سنة 1911[19].

ثانيا: الإدارة الاستعمارية والنظرة الإيجابية لمسألة الحج:

لم تكن الإدارة الاستعمارية لتترك حدثاً إسلامياً هامًّا يتكرر كُلَّ سنة، ويُشارك فيه بعلمها أو بدونه أعداد واسعة من سكان مستعمراتها الذين يدينون بالإسلام ومن بينهم الجزائريون، يَمُرُ مرور الكرام، هكذا دون أن تستغله لخدمة مصالحها، وتجيّرَهُ لصالح رؤيتها في المنطقة و تُكَيف المسألة وفق ما يخدم مصالحها، ومن الزاوية التي تخدم الرؤية الاستعمارية عموماً ، ولهذا لم تبقَ النظرة السلبية طاغية على رؤية الإدارة فيما يَخُص مسألة الحج، إذ حاولت أن تحدد أهدفا إيجابية يعود بها الحج عليها، هذه الأهداف كانت كالتالي:

1- كسب الرأي العام الإسلامي:

اعتبرت الإدارة الاستعمارية الفرنسية أنَّ موسم الحج فرصة هامة ، عليها أن تستغلها لتنظيف وتلميع صورة فرنسا في العالم الإسلامي، وهذا عن طريق إرسال وفود حج رسمية من طرفها [20] ، بحيث تظهر بصورة الدولة المتسامحة دينياً مع الشعوب التي تخضع لها، وكذلك فإنها فرصة بنظرها لامتصاص نقمة المسلمين على فرنسا إزاء الاضطهاد الذي كانت تُمارسه على الشعوب المستعمرة لاسيما بالجزائر وتونس[21] ، وخلال الحرب العالمية الثانية بصورة خاصَّة سعت فرنسا إلى محاولة كسب الرأي العام الإسلامي لصالحها، فكان موسم الحج أحد الفرص المناسبة لتحقيق هذا الغرض، وبالفعل فقد نظمت الإدارة بالجزائر رحلات حج رسمية أشرفت عليها[22].

2- تحقيق النفوذ في المنطقة العربية:

كانت الحكومة الفرنسية تدرك غياب أي تأثير لها بمنطقة الحجاز، مقارنة بالحضور الإنجليزي في المنطقة، وقد نبه بعض المستشرقين الفرنسيين حكومتهم لهذا الأمر، وعليه ما فتئت فرنسا تحاول فرض وجودها هناك ومزاحمة الإنجليز فيها، فالنفوذ الفرنسي بالمنطقة كان لا يُقَارن أبداً مع الدور الإنجل يزي تجارياً ومعنوياً هناك، فيكفي استعراض ما كان يرد في تقارير الدبلوماسيين والمبعوثين الفرنسيين إلى المنطقة، لمعرفة مدى ضعف الحضور الفرنسي هناك، فهذا جيرفي كورتيلمون يتحدث في ملاحظاته التي سجلها بعد أداء مهمته المشار إليها لاحقا ، عن غياب البضائع الفرنسية عن الأسواق هناك، مقابل اكتساح للبضائع الإنجليزية والهولندية، ويتحدث كذلك عن الصورة السيئة لفرنسا، حيث تسود مشاعر النقمة اتجاهها[23] ، بسبب السياسات الاستعمارية بالبلدان الإسلامية المستعمرة وعلى رأسها الجزائر، وكذلك بسبب إهمال الحجاج الجزائريين هناك وتركهم دون موارد، وقد وصف صورة بلاده في الحجاز بـ "السوداء".

نظراً لما سبق ذكره والذي تكرر في أغلب التقارير الفرنسية الواردة من الحجاز، فقد سعت الإدارة لاستغلال موسم الحج لتغيير هذه الصورة عنها، و لتضع موطأ قدم لها في المنطقة، وهي النصيحة التي قدمها جُل مبعوثي الإدارة للمنطقة، فجيرفي مثلاً دعى إلى توزيع مناشير في مكة حول الجزائر وتونس، تُذَكِر الإدارة الاستعمارية فيها بما قامت به في البلدان الإسلامية المستعمرة من "تقدم" على حد تعبير جيرفي

– نقلاً عن سعد الله-، كما تمَّ دعوة الحكومة الفرنسية لتعزيز التواجد التجاري للبضائع الفرنسية بأسواق الحجاز[24].

تنفيذاً للنصائح المقدمة للإدارة، وسعياً منها لترجمتها فعلياً، كانت الإدارة قد أوجدت جمعية أحباس الحرمين والتي أوكلت لها مهمة تنظيم عملية الحج، والتي كان لها دور هام في المنطقة بدءاً من سنة 1917، وفي سياق مُوازٍ نذكر شخصية د. البشير الدنقليزي، وهو تونسي كان يعمل في مجال الصحة لصالح الإدارة الاستعمارية بتونس، وقد كان له علاقة بملف الحج بحكم مراقبته للبعثات الفرنسية الخاصة بمستعمرات شمال إفريقيا، أمَّا عن سبب حديثنا عنه هاهنا، هو أنه من الشخصيات التي أعدَّت تقارير خاصة بالحجاز وأهمية فرنسا به، حيث أشار في أحد هذه التقارير إلى محدودية الاهتمام الفرنسي في الحجاز، ممَّا جعل لسكانه صورة مشوهة عنها على حد قوله، وعلى هذا فقد اقترح بعث مستوصف أو مستشفى فرنسي في مكة المكرمة، على غرار ما أوجدته مصر وهولندا هناك، وقد أبرز الأهداف من وراء هذا المشروع، وبعيداً عن الجانب الصحي الذي من المفروض أن يكون الهدف الأساس في هكذا مشاريع، فقد ذكر أسباب متفرقة من بينها جعل المستوصف لخدمة سكان البلاد أيضاً وليس فقط الحجاج القادمين من المستعمرات الفرنسية، وأيضاً حجاج باقي البلدان، وهو ما سيساهم في تحسين صورة فرنسا لديهم وستكون فرصة لكسب قلوبهم كما قال، ونصح كذلك بتوجيه السياسة الإسلامية لفرنسا بالبقاع المقدسة عن طريق محاولة استمالة سكانها بأي طريقة ممكنة، كما رأى أنَّ بعث هذا المستوصف سيكون له أثر سياسي في كونه دعاية لفرنسا، وهو الأمر الذي جعله يُلّح على الإدارة في تطبيق هذا المشروع مهما كانت التكاليف[25].

هذا وقد دعت العديد من التقارير الخاصة بذات الموضوع إلى محاولة الإدارة الاستفادة من النفوذ الذي كان يحظى به أعيان الجزائر و المغرب العربي في مكة كأعيان ميزاب مثلاً، و الذين أشارت التقارير عن علاقة مميزة كانت تجمعهم مع الشريف عون شريف مكة على سبيل المثال [26]، كما و في تطبيق فعلي للاقتراحات المُقَدَمة للإدارة، قامت هذه الأخيرة بتنظيم رحلات حج رسمية يتصدرها الأعيان والشخصيات التي كان لأغلبها علاقات جيدة مع الإدارة الاستعمارية، وهو ما كان يساهم في تحسين صورة فرنسا وإظهار تسامحها الديني مع سكان مستعمراتها[27].

3- إقتناع الجزائريين بالحُكم الفرنسي:

لعل ما نشرته جريدة الأخبار –نقلاً عن أجيرون-، وهذا من خلال المقال المؤرخ بتاريخ 1 جوان 1893، قد كسر من الصورة العامَّة التي كانت قد رسمتها الإدارة والمعَمِّرُون من أنَّ الجزائريين يعودون من الحج أكثر كُرهاً للفرنسيين، وأكثر إصراراً على مقاومة المحتَّل، ذلك أنَّ صاحب المقال قَدَم طرحاً مختلفاً جداً آنذاك، مختلفاً في رؤيته عماً كان سائداً وقتها، إذ أورد أن الحجاج الجزائريين يعودون بخيبة أمل بعد الحج، ولكن لماذا؟ الإجابة حسبه و-نقلاً عن أجيرون- هـ ي المصاعب التي تواجههم وغارات البدو التي يتعرضون لها في الطريق، كما أنهم يعودون حسبه وكلهم إعجاب بالتجربتين المصرية (محمد علي باشا) و التركية الحديثتين آنذاك، واقتناعهم بإمكانية التفاهم بين المسلمين والأوربيين[28].

يتحدث شارل اندريه أجيرون كذلك، عن ما مفاده أن الإدارة أبدت خلال مراحل مُتقَدِمَة من الاحتلال نوعاً من التساهل، ذلك أنها غيَّرَت من نظرتها قليلاً، فالتقارير التي كانت تصلها من قنصلياتها المختلفة كانت تُساهم في تغيير هذه النظرة، فحسبهم فإنَّ الجزائريين يُصابون بخيبة أمل من بعض الحقائق الواقعية التي يُصَادِفُونَهَا خلال رحلاتهم من حيث الفقر والمشاكل الموجودة في البلدان العربية الأخرى، وبالتالي فإنهم يعودون وكلهم رِضاً و اقتناع بواقع الحال في ظل الحكم الفرنسي[29].

4- المهمات الخاصة والدراسات حول الحج والحجاز:

منذ فترات زمنية مبكرة، اهتمت الإدارة الاستعمارية بالدراسات الخاصة بالحجاز عموماً، والشق الخاصة بعملية الحج خصوصاً، فنجدها تتحرى تارةً عن الظروف التي يقيم فيها حجاج مستعمراتها خلال موسم الحج، ودراسة الأثر الروحي الذي يُخَلِّفُهُ الحج في نفوسهم بعد عودتهم إلى بلدانهم تارة أخرى[30]، وكان يُفَضَّل في هذه الدراسات أن تكون ميدانية لا نظرية، ولأنَّ البقاع المُقدَّسَة كان مُحرَّماً دُخُولُهَا على غير المسلمين، فقد احتاجت الإدارة إلى إرسال مبعوثين عنها سواء كانوا عمالا ضمن الوفود المرافقة للحجيج حيث يقومون بمراقبة هؤلاء وكتابة تقارير عنهم (الحجاج) أو عن الحج أو الجالية الجزائرية و المغاربية هناك، أو حتى الوضع في الحجاز وما إلى ذلك [31] ، وفي هذا السياق نذكر بروفاش وهو متصرف إداري للبلديات المختلطة في الجزائر، والذي رافق الحجاج خلال حج سنة 1902، و قَدَّم إنطباعاته حول الحج أمام بعض الشخصيات من المستشرقين في مؤتمرهم بالجزائر سنة 1905[32]، ومن ناحية ثانية كانت الإدارة الاستعماري تعتمد على أشخاص بهيئة وهوية غير هيئتهم وهويتهم الأصلية، أي متنكرين "جواسيس"، و قد قام هؤلاء بتدوين وكتابة وتوثيق رحلاتهم ومهماتهم التي قاموا بها لصالح الإدارة[33] ، ولعل من أبرز من قاموا بمهمات من هذا النوع بالحجاز لصالح الإدارة الاستعمارية بالجزائر، نذكر ليون روش و جيرفي كورتيلمون[34] ، و في نظرة سريعة حول المهمتين المشار إليهما:

أ. مهمَّة ليون روش:

عاش ليون روش [35] بالجزائر منذ 1832، وتقلَّدَ عدة وظائف في الإدارة الاستعمارية كما وقام بمهمات متعددة لصالحها، لعل أبرزها المهمة التجسسية على الأمير عبد القادر منذ نوفمبر 1837[36]، حيث ادعى اعتناقه للإسلام وتسمى باسم عمر[37] ، وأنهى مهمته هذه عام 1839، حين غادر معسكر الأمير عبد القادر هارباً حاملاً معه العديد من الأسرار إلى جيش بلاده، والمهم بالنسبة لنا هَاهُنَا هو الحديث عن المهمة الجديدة له، والتي قام بها بعد ذلك والتي كان لها تقاطع مع موضوع الم قال ، إذ كُلِّفَ بالسفر إلى الحجاز في مهمة خاصة، يمر فيها بعدد من الحواضر الإسلامية[38].

يذهب الدكتور ابو القاسم سعد الله إلى أنَّ المهمة التي كُلِّفَ بها روش سنة 1842 في الحجاز، لم تكن متعلقة فقط بالحصول على فتوى دينية كانت الإدارة بحاجة إليها، بل كانت كذلك متعلقة بدراسة

أوضاع الحجاز الدينية (الحج) و السياسية والتجارية، وتقديم صُورَة عنها إلى السلطات الفرنسية بالجزائر بعد عودته من مهمته[39].

إذاً سافر ليون روش صوب الحجاز، منطلقاً من الجزائر في جوان 1841، مرفوقاً ببعض الشخصيات الجزائرية، وطاف ببعض الحواضر الإسلامية على غرار القيروان والقاهرة، ثم غادر هذه الأخيرة إلى الحجاز بتاريخ 06 نوفمبر 1841، وهذا في قافلة حج برَّيَّة تضم 400 حاج، ودخل المدينة المنورة في 22 ديسمبر، وشارك كحاج خلال موسم الحج آنذاك، وقام بكل الشعائر الدينية التي يقوم بها المسلم أثناء الحج، و أقام بمكة المكرمة لمدة 15 يوماً قبل أن يُكتَشَفَ أمره من طرف الحجاج الجزائريين هناك فقام بالفرار، إذ أن موسم الحج كان أفضل فرصة له للقيام بمهمته دون اكتشاف أمره، وكانت مهمته هذه تتمثل في الحصول على فتوى من العُلَمَاء هناك تنص على مهادنه المسلمين للكفار الذِّين غزوا بلادهم بالقوَّة وهذا إن لم يؤذِ المحتلون نسائهم وأطفالهم وسمحوا لهم بممارسة دينهم ، وبالفعل حصل روش على مراده قبل فراره، وعاد إلى الجزائر في جوان 1842[40].

ب. <u>مهمة جيرفي كورتيلمون:</u>

عكس ليون روش الذي كان عسكرياً، فإنَّ جيرفي كورتيلمون [41]كان مدنياً [42]، وقد تمَّ تكليفه بمهمة رسمية شبيهة بتلك التي قام بها روش، فكان الغرض هو الحصول على فتوى دينية مجدداً، واستغلت الإدارة موسم الحج عام 1893، لتنطلق من خلاله مهمة كورتيلمون، وخلال هذه السنة كانت الإدارة قد فتحت أبواب الحج فعلاً أمام الجزائريين، غير أنَّه ولظروف ما تأجلت المهمة سنة أخرى.

بالرغم من منع الإدارة للحج في الموسم الموالي (1894)، إلاَّ أن جيرفي كان مستعداً لآداء مهمته، التي انطلق فيها باسم عربي تنكر خلفه وبجواز سفر مزور أعدته الإدارة الاستعمارية له[43]، وكان دليله ورفيقه في رحلته هذه هو الجزائري الحاج آكلي، والذي سبق له الحج عدَّة مرات، وكان صاحب تجارة بين الجزائر وعدَّة أقطار عربية من قبيل مصر والشام والحجاز[44] ، أماَّ مهمة كورتيلمون فتمثلت في الحصول على فتوى تحد من حركة الهجرة التي كانت مستفحلة في تلك الفترة، بالإضافة إلى ما تم اعتباره مواجهة لحركة الجامعة الإسلامية التي كان يقودها جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده.

غادر جيرفي والحاج آكلي الجزائر خريف سنة 1894، بالرغم من القرار الرسمي الصادر بمنع الحج، على متن السفينة البحرية غلوكوز، المتوجهة صوب جدَّة مُبَاشَرَةً، وبعد 10 أيام رست بموانئ جدَّة[45]، وقد تزامن وصولهم مع موسم العُمرة وليس الحج كما كان مُخططًّا له، وقد زار جيرفي الأماكن المقدسة وقام بمهمته الأساسية، وما يفيدنا في الموضوع من هذا كله هو أنَّ جيرفي قد قام بتسجيل تفاصيل هامَّة عن الحجاز ومكانة فرنسا هناك وغير ذلك، وقد قام بنشر كل هذا بعد ذلك في كتابه الذي عنونه بـ "رحلة إلى مكة"[46].

ثالثا: موقف الجزائريين من التعامل الفرنسي مع مسألة الحج:

كان الجزائريون هم المستهدفون من السياسة الاستعمارية الخاصة بالحج، وكانوا العنصر الأساسي فيها، فهم من مبدأ منطقي بحت إمَّا المستفيدون أو غير المستفيدين منها، ولهذا فقد كانت لهم مواقف وطُرُق تعاطي اختلفت من فئة لأخرى ومن شخص لآخر، خصوصاً إذا أخذنا بعين الاعتبار أنَّه يمس عقيدتهم وركناً من الأركان التي يقوم على دينهم، ومن هنا حاولنا رصد ردود فعلهم المختلفة، والتي تعلقت بموضوع الحج حصرًا وكيف التفوا على الأساليب الاستعمارية عل تنوعها، فكيف تأثَّرَ الجزائريون بهذه السياسة؟ وما هي طُرُق تعاطيهم معها و ردود فعلهم اتجاهها؟

1- الحج الحر وخصوصياته:

مع أنَّ الإدارة نظمت عملية الحج بشكل رسمي وقنَّنتها، إلاَّ أنَّ هذا لم يمنع من وجود حج موازٍ، كان يتم بشكل حر وفردي بعيداً عن سيطرة الإدارة وهيمنتها، وإن كان يتم بشكل سريٍّ في الغالب، وقد كان هذا النوع من الحج كرد فعل من الجزائريين على سيطرة الإدارة على تنظيم العملية، وحرمانها لهم منها، بسبب أو بدون سبب، هذا عدا عن الصعوبات الإدارية والحواجز والعوائق التي كانت تضعها أمامهم، وقد كان هذا النوع من الحج منتشراً بشكل واسع، حتى ولو عرف نوعاً من الانحسار مع مطلع القرن العشرين، إلاَّ أنه قد أخذ أكثر من شكل و صورة، حيث يذكر "إيسكاند" أنَّ الإدارة الاستعمارية قد اعترفت سنة 1914 بإخفاق سياستها في تنظيم الحج، بسبب انتشار "الحج الغير قانوني"، وهي التسمية التي فضَّلت الإدارة أن تطلقها على الحج الحر، وقد اعتبر إيسكاند أنَّ هذا النوع من الحج كان من الممكن استثماره، وأن يكون مفيداً للإدارة بالجزائر، إلاَّ أنَّ الإدارة المركزية في باريس فضلت محاربته من الأصل[47].

أَصَرَّت الإدارة على محاربة الحج الحُر، فكانت تضع عقوبات صارمة لكل مخالف "للقانون" في منظورها، أي كل من يقوم بالحج بعيداً عنها، إذ كان السجن و الأشغال الشاقَّة مصير كل من يحج بشكل سري ويُكتَشَفُ أمره [48]، كما كانت الإدارة تُوقِفُ هؤلاء الحجاج في تونس وتُرغِم عائلاتهم على دفع مصاريف عودتهم، على الرغم من سَجنِهَا هؤلاء [49]، ويذكر إيسكاند أنَّ الحجاج "غير القانونيين" كانت الإدارة تقسمهم إلى مجموعات حسب مناطقهم الأصلية، ثم تسجنهم في السجون الزراعية على غرار: تداميت، بوخنفيس، عين الباي، وكانت عقوبتهم تصل إلى السجن لمدة شهرين وهذا خلال سنة 1894، وأصبحت 04 أشهر منذ 1911، وقد كان الحاكم هو من يحدِّد المدة، وقد تم رفعها أكثر من مرة [50]، ونذكر على سبيل المثال ما أورده سعد الله، في حديثه عن رحلة كورتيلمون التي سبق وتحدثنا عنها، إذ يتحدث بأنَّ الإدارة كانت قد ألقت القبض على الجزائري الحاج آكلي سنة 1890، بسبب مخالفته القرار الصادر بمنع الحج، حيث ركب قافلة من بلاد الشام وتوجه صوب الحجاز حاجًّا، وتم اعتقاله وسجنه بعد عودته إلى الجزائر فيما بعد، قبل أن يتدخل كورتيلمون لدى الوالي الذي كان صديقاً له، ليُطلَقَ سراح الحاج آكلي ويُرافِق كورتيلمون في رحلته الشهيرة إلى الحجاز [51]، وكان الحجاج الأحرار يذهبون عبر تونس أحياناً وليبيا في أحيان أخرى، ومنها يسلكون الطُرق الجنوبية إلى العراق فالبقاع المقدسة.

هذا وقد حاولت الإدارة مراراً تقنين الحج الحر، من أجل أن تفرض سيطرتها عليه لأنه كان يشكل عامل إزعاج بالنسبة لها، فكانت تسمح به في بعض الأحيان لتطمئن الحجاج الأحرار، لكنها سرعان ما تفرض عليهم قائمة طويلة من الشروط، على غرار الضمانات المالية الكبيرة حتى تضمن عودتهم، وقد حدث أن وصل المبلغ المطلوب كضمان من الحجاج الأحرار إلى 25.000 فرنك، بالإضافة إلى كثير من الشروط التي كان مفعولها سارياً على الحجاج بالطريقة الرسمية[52].

أثناء مطالعة سِيَّر العديد من الشخصيات الجزائرية البارزة خلال الفترة الاستعمارية، كرجالات جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، نجد أنَّ أغلبهم قد أدَّى فريضة الحج ولكن دونما إشارة إلى الطريقة التي تمت بها عملية الحج سواء بشكل حر أو رسمي، فالإمام عبد الحميد بن باديس مثلاً سنة 1913، اتجه لأداء رحلة الحج ولكنه استغرق مدة زمنية تتجاوز تلك التي يستغرقها الحاج في الرحلة العادية، ذلك أنه زار عديد العواصم والحواضر الإسلامية في رحلة علمية طويلة، عرَّج فيها على الحجاز وسوريا ولبنان ومصر، وهذا ما يجعلنا نستنتج أنه قد حجَّ بطريقة فردية، أو غادر الجزائر خارج إطار التوجه للحج من الأساس، إذ أنَّ الحج عن طريق الإدارة كان مقيداً بموعد ذهاب وإياب ومحطَّات معينة، وهو ما يتنافى ورحلة الإمام [53]، وكذلك الشيخ العربي التبسي نجد أنه أدى فريضة الحج وطاف ببعض البلاد العربية و الإسلامية على غرار مصر [54]، و ربما نستخلص من هذا طريقة أخرى ردَّ بها الجزائريون على احتكار الإدارة لتنظيم الحج، ألاَ وهي الرحلات العلمية وربما حتَّى السياحية، فقد يحصل الجزائري على ترخيص للسفر إلى فرنسا مثلاً ومن هناك يسلكه طريقه صوب البقاع المقدسة بغرض الحج على سبيل المثال.

ردود الفعل الجزائرية كان لها عدة صور أخرى، فمثلاً بعض الحجاج الجزائريين كانوا يذهبون عبر السفن الإنجليزية من تونس لانخفاض أسعارها وعدم تركيزها على الوثائق والإجراءات الإدارية، ومن ثم يعودون عبر السفن الفرنسية، وهي الظاهرة التي طالب الحاكم العام بردعها، وهذا بسجن الحاج لمدة 06 أشهر، وإرغامه على دفع تكاليف العودة هو أو عائلته[55].

2- الهجرة خارج الجزائر:

كانت هناك عدَّة أسباب تفاعلت لتحريك هذه الظاهرة، والحج لم يكن السبب الأساسي أو المباشر فيها قطعاً، ولكن وفيما يخص جزئيتنا هذه فالجديد هَاهُنَا هو تسجيل ظاهرة لها علاقة بالحج، ألا وهي جَعل الهجرة حُجَّةً للتمكن من أداء فريضة الحج و احتجاجا على السيطرة على الشؤون الإسلامية، و هذه الظاهرة قد سُجِّلَت بقوة في عهد الحاكم العام جول كامبون كما يُورِد سعد الله [56]، أو اتخاذ الحج سبباً للهجرة، أو ربما يُقرر الحاج أصلا بعد إنهاء الشعائر الخاصَّة بالحج البقاء في الحجاز أو بلد إسلامي آخر وعدم العودة للجزائر[57]، وهي الظاهرة التي حاربتها الإدارة بطلب الضمانات المالية[58].

عائلة الشيخ الطيب العقبي، والتي هاجرت رُفقَة عائلات أخرى من نفس المنطقة (سيدي عقبة – بسكرة) إلى الحجاز سنة 1895، وقد قُدِّرَت أعدادهم بحوالي 100 شخص، ويتحدث الشيخ العقبي بنفسه

عن هذه الهجرة –نقلاً عن أحمد مريوش-، فيقول: "... انتقلت عائلتنا قاصدة مكة لحج الكعبة المشرفة"، و يُرجع مريوش السبب في هذه الهجرة إلى سياسة القهر التي اتبعتها فرنسا، وعبر عدَّة مجالات ضدَّ الكثير من العائلات الجزائرية، لهذا فضَّلَت عائلة الشيخ الطيب العقبي الهجرة إلى الحجاز، فطلبت من الإدارة رخصة الحج من أجل الخروج بشكل طبيعي من الجزائر[59].

هكذا إذاً لم يستسلم الجزائريون لهيمنة وسيطرة الإدارة على ركن أساسي من أركان دينهم، و أدوا فريضة الحج بشكل أو بآخر، وبعلم الإدارة و رضاها أو من دون ذلك، الأهم أنهم تمكنوا من إقامة ركن الحج المفروض على كل مسلم بالغ قادر مرة واحدة.

الخاتمة

منذ البداية توجست الإدارة الاستعمارية الفرنسية بالجزائر من الحج خيفةً، ونظرت له بعين الريبة حتى خروجها من الجزائر سنة 1962، ومعه كل الشؤون الإسلامية التي تعرضت للتّضييق و المحاربة، فكانت النظرة السلبية للحج هي الغالبة في قاموس الإدارة، مما جعلها تتبنى سياسة خاصة في التعامل معه من حيث منعه أحيانا، وعند الترخيص به في أحيان أخرى فإن الشروط التعجيزية وانتقاء الحجاج وغيرها هي ما يتسيّد المشهد، إلاَّ أنَّ هذا كله لم يمنع بتاتاً من محاولة أقلمة الظروف لصالحها، فسعت باستمرار وبمختلف الطرق لاستغلال هذا الركن الأعظم لدى المسلمين لمصلحتها وخدمة لوجودها بالجزائر وحتى بالخارج، إذ حاولت من خلاله كسب الرأي العام الإسلامي، لاسيما في أوقات الحروب والتي كان المسلمون محط أنظارٍ من أطراف الصراع، وكذلك اعتبرته فرصةً لتحسين صورتها في المشرق العربي وإظهار تسامحها الديني المزعوم بالجزائر، كما كان فرصة مهمة لها لكسر الهيمنة الإنجليزية في المشرق عموما ومزاحمتها هناك سياسياً واقتصاديا ومعنوياً، كما و قامت بعديد الدراسات عن الحج وآثاره على سكان المستعمرات من خلال مهمات خاصة في هذا الجانب.

رغم كل ما قامت به الإدارة الاستعمارية الفرنسية إلا أن الشعب الجزائري لم يستسلم، وتعامل بطريقته الخاصة سواء بالحج الحر بعيدا عن قيود الإدارة تارة، والهجرة تارة أخرى، ولعل التحكم في الفرنسي في الحج و الشؤون الإسلامية عمومًا، كان نقطة حاسمة من النقاط التي أشعلت غضب الجزائريين الذي لم يهدأ وكان وقود تراكمات تكلّلت مع مرور الزمن بالثورة ضد هذا المستعمر وبكل الأشكال الممكنة.

الهوامش:

1. شارل روبير أجيرون، الجزائريون المسلمون وفرنسا (1871/1919)، الجزء الأول، ترجمة: م حاج مسعود وَ ع بلعربي، دار الرائد للكتاب، الجزائر، 2007. ، ص549، 580.
2. ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي (1830/1954)، الجزء الرابع، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، 1998، ص403.
3. عبد المجيد بن عدة، مظاهر الإصلاح الديني و الاجتماعي و التربوي في الجزائر من خلال جهود الرواد والمصلحين (1900/1925)، مذكرة مُقَدَمَة لنيل شهادة الماجيستر في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر، 1992، ص35.
4. شارل روبير أجيرون ، المرجع السابق، ص579.
5. وعلي محمد الطاهر، التعليم التبشيري في الجزائر من 1830 إلى 1904 "دراسة تاريخية تحليلية"، منشورات دحلب، البليدة/الجزائر، ص68.
6. المرجع نفسه، ص68.
7. بن القبي صالح، الدبلوماسية الجزائرية بين الأمس واليوم ومحاضرات أخرى، منشورات Anep، الجزائر، 2002، ص16.
8. التليلي العجيلي، "موقف السلطات الاستعمارية في تونس من الملك عبد العزيز بين عامي 1355/1344هـ- 1936/1926 م"، مجلة الدارة، دارة الملك عبد العزيز، السعودية، العدد الرابع للسنة الثالثة والثلاثون، 2007، ص94.
9. شارل روبير أجيرون ، المرجع السابق، ص569.
10. لونيسي إبراهيم، القضايا الوطنية في جريدة المبشر (1848/1870)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر، 1994، ص311.
11. التليلي العجيلي، المرجع السابق، ص93.
12. مراح محمد عبد الكريم، "صورة الملك عبد العزيز والمملكة العربية السعودية في بعض كتابات الإصلاحيين الجزائريين بين سنوات (1920/1957م- 1338/1376 هـ)، مجلة الدارة، دارة الملك عبد العزيز، السعودية، العدد الثالث للسنة الثالثة والثلاثون، 2007، ص66.
13. المسعودي محمد، "بناء الرحلة الحجازية في كتاب الحج إلى بيت الله الحرام"، الموقع الإلكتروني لمؤسسة مؤمنون بلا حدود، قسم قراءات في كُتُب: http://www.mominoun.com/arabic/ar-sa/articles، تاريخ الدخول: 2013/11/14، الساعة: 15.54.
14. التليلي العجيلي، المرجع السابق، ص 95.
15. الإبراهيمي محمد البشير، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي (1954/1964)، جمع وتقديم: الإبراهيمي أحمد طالب، الجزء الثالث، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، 1997، ص76.
16. أبو القاسم سعد الله ، الحركة الوطنية الجزائرية (1860/1900)، الجزء الأول، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، طبعة خاصة، 2009، ص555.
17. أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي (1830/1954)، الجزء الخامس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، 1998، ص483.

18. احمد مريوش ، الشيخ الطيب العقبي ودوره في الحركة الوطنية الجزائرية، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، الطبعة الأولى، 2007، ص32.
19. أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي (1954/1830)، الجزء الرابع، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، 1998، ص403، 410.
20. عبد اللطيف الحناشي ، "جمعية أحباس الحرمين الشريفين بباريس: من تنظيم رحلات الحج إلى الإشراف على جامع باريس (1951/1916م- 1370/1334 ه)"، مجلة الدارة، دارة الملك عبد العزيز، السعودية، العدد الثالث للسنة الخامسة والثلاثون، 2009، ص149.
21. سعد الله أبو القاسم، أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر، الجزء الخامس، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، طبعة خاصة، 2009، ص43.
22. ا عبد اللطيف الحناشي ، المرجع السابق، ص149.
23. ابو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، الجزء الخامس، ص43.
24. المرجع نفسه، الجزء الرابع، ص406.
25. التليلي العجيلي، المرجع السابق، ص71، 72، 80، 83، 84، 85، 86.
26. ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، الجزء الرابع، ص408.
27. عبد اللطيف الحناشي ، المرجع السابق، ص160.
28. شارل روبير أجيرون ، المرجع السابق، ص580.
29. شارل روبير أجيرون، الجزائريون المسلمون وفرنسا (1919/1871)، الجزء الثاني، ترجمة: م حاج مسعود وَ ع بلعربي، دار الرائد للكتاب، الجزائر، 2007، ص481.
30. بدر الخريف، "زارها قبل 115 عاماً، رحالة فرنسي يرسم مكة المكرمة بالكلمات"، مجلة المعرفة، وزارة التربية والتعليم، السعودية، العدد 165، ديسمبر 2008.
31. Anom, Bibliothèque- AOM Th//703,Escande Laurent, Le Pèlerinage à La Mecque Vu D'Algérie Aspects Sanitaires (1870/1940), Mémoire De Maitrise Sous La Direction De M. Robert Ilbert, Université De Provence, 1991/1992. , p37.
32. ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، الجزء الرابع، ص407.
33. أسرة تحرير مجلة المعرفة، "غربيون أسلموا ومستشرقون يكتبون عن رحلات الحج"، مجلة المعرفة، وزارة التربية والتعليم، السعودية، العدد 165، ديسمبر 2008.
34. ابو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، الجزء الأول، ص555.
35. ليون روش: من مواليد سنة 1809 بمدينة غرونوبل الفرنسية، أين درس هناك حتى التحق بوالده بالجزائر عام 1832، حيث كان والده من المشاركين في الحملة الفرنسية التي احتلت الجزائر سنة 1830 ودخل في خدمة الجيش بعد ذلك، قضى روش فترة طويلة في مهام دبلوماسية وعسكرية لصالح الحكومة الفرنسية، توفي في مسقط رأسه غرونوبل سنة 1901، أنظر: سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، الجزء الخامس، ص33.
36. ابو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، الجزء الخامس، ص33.
37. المرجع نفسه، ص483.
38. المرجع نفسه ، ص33.

39. المرجع نفسه، الجزء الرابع، ص402-403.
40. المرجع نفسه ، الجزء الخامس، ص34- 37.
41. جيرفي كورتيلمون: سياسي ودبلوماسي فرنسي، اختص بالدراسات الإسلامية، كما و درس الفن بالجزائر العاصمة، زار العديد من البلدان الإسلامية وألف عن زياراته هذه كتاباً من خمسة مجلدات، كما له كتاب عن رحلته إلى مكة، أنظر: سعد الله، أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر، الجزء الخامس، ص40.
42. ابو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، الجزء الأول، ص555.
43. المرجع نفسه ، الجزء الخامس، ص ص41- 42.
44. المرجع نفسه ، الجزء الرابع، ص ص405- 406.
45. المرجع نفسه ، الجزء الخامس، ص38، 39، 42.
46. المرجع نفسه ، الجزء الرابع، ص405.
47. Escande Laurent, "L'administration Française Et Le Contrôle Du Pèlerinage (1894/1962)", Revue D'histoire Maghrébine Epoque Moderne Et Contemporaine, Publication Fondation Temimi, Zaghouan/Tunis, 26 Année, Numéro 95-96, Mai 1999. p284.
48. بن القبي، المرجع السابق، ص16.
49. شارل روبير اجيرون، المرجع السابق، الجزء الثاني، ص481.
50. Escande, "L'administration Française Et Le Contrôle Du Pèlerinage (1894/1962)", p p280- 281.
51. ابو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، الجزء الخامس، ص41.
52. Escande, "L'administration Française Et Le Contrôle Du Pèlerinage (1894/ 1962)", p.283, 289.
53. رمضان محمد صالح وَ فضيل عبد القادر، إمام الجزائر عبد الحميد بن باديس، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2010، ص38، 40.
54. عبد الناصر، "الحج أو الركن الذي لم يعد لمن إستطاع إليه سبيلاً-حجاج الجزائر في زمن الإستعمار كانوا كلهم من حفظة القرآن"، الشروق اليومي، العدد 4156، 2013/10/04 ، ص13.
55. Escande, "L'administration Française Et Le Contrôle Du Pèlerinage (1894/1962)", p 283.
56. ابو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، الجزء الأول، ص553.
57. كاتب كمال، أوروبيون أهالي و يهود بالجزائر (1830/1962) "تمثيل وحقائق السكان"، ترجمة: زبدي رمضان، دار المعرفة للنشر و التوزيع، الجزائر، طبعة خاصة وزارة المجاهدين، ص85.
58. Escande, "L'administration Française Et Le Contrôle Du Pèlerinage (1894/1962)", p 289.
59. احمد مريوش، المرجع السابق، ص32.